

مول مستقبل الأزهر :

## الاستقرار أولا

للأستاذ كامل السيد شاهين

إنا وما نكنتم من أمرنا كالثور إذ قرب لناخ  
أر كائى يحبها أهلها عنزاه بكرا ، وهي في التاسع ا  
كنا نرفيها ، فقد خرت واتع الحرق على الرابع ا

إذا كانت الهزات الاجتماعية ، والحروب الكاسحة ، معوقة  
للتقدم العلمى ، حائلة بين ركب الحضارة وبين الخطو للأمام ، فإن  
الزلازل التي تلج بها الأزهر منذ ست عشرة سنة ، جذيرة أن  
تهزه هزا عنيفا يكاد يفقده سمته العلمية ، ويشكك الناس في  
رسالته ، حتى ليوشك أن يبقى اسما فارغا محته واقع من القوضى  
العمياء ، والتهويش الحزب ، والجهل العميق ، والمجمعة  
الكذوب ا

وإذا كان الأزهر في فئاته وإخلاسه للعلم ، واستفراغ جهود  
أبنائه في الدرس ، وتوفيرهم على البحث — لم يستطع أن يسار  
الركب إلا لاهتا منهوكا ، فأحر به وقد انصرف بنوه رؤساء  
وأساتذة وطلابا إلى الشغب والإضطراب ، وتنفور الحركات  
السياسية المشثومة ، والجري معها كما نهوى الأفراض والمنافع ،  
وإرسال الخطب تفريرا بصغار الطلاب ومثقلهم ، أحر به وقد  
انصرف بنوه إلى ذلك كله أن يكبوا كبوا لا يسرع منه إلى  
النهض ، وأن يكون بمجدة من ركب أنحيه سسشط الجاد ،  
لا يدرك إلا بالمعزة تخرق المادة ، وتأتى بما وراء الظنون ا

•••

امتازت السنوات التي قضاها الشيخ الأحمدي شيخنا للأزهر  
ز بين سنة ٢٩ سنة ( ٣٤ ) بأنها كانت مغلصة للعلم والدرس  
والنظام ، ولقد أقاد للطلاب والأساتذة على السواء من هذه  
الهنمة المباركة ، ولا يزال من أصابوا حظهم من الدراسة في هذه  
الفترة ، على قدر من الثقافة الأزهرية المؤسدة التي لا تموج إلا إلى

قدر يسير من الماردة والمراجعة ، ليستوى صاحبها عالما ملما  
مهيبا للإفادة

ولئن كان للشيخ الأحمدي قد آتم أكبر الإنم بما جرى  
من السياسة الشوم باشا في تلك الفترة ، فأرهب الطلاب  
والأساتذة ، وأخذ بعض العلماء يمونا على بعض ،  
وعاقب بالظنة ، وبعطش البطشة الكبرى بمن يحوم حولهم شبهة ،  
وكان فليظ القلب في مصادرة الأرزاق ، وتشريد الأمر ، حتى  
أسبح الأزهر كله فرقا بموج بالدس والنفاق ، وصار أساتذته في  
ذلة وانضاع من قلة الرواتب وسوء الحال . . . لئن آتم الشيخ  
الأحمدي هذا الإنم كله لقد ازدهرت الناحية التعليمية في هذه  
كل مزدهر ، وآتى الاستقرار ثمارا لا تزال حلاوتها مله  
الأفواه إلى يوم الناس هذا

وأقبل عهد الشيخ الراجحي فكان فيه الخير والشر . كان  
خيره على الجيوب والبطن ، وكان خيره على الكرامة الأزهرية  
والسمعة الخارجية الداوية ، وشره كان على العلم والاستقرار ،  
وكان على الإنتاج والتحصيل والإعداد

حينما ثار العلماء والطلاب بالشيخ الأحمدي ، وهتفوا بالشيخ  
الراجحي ، كانت دعوات الإصلاح والتهوض . فإن كان الإصلاح  
الذي يريدون إصلاح الرواتب ، وإصلاح الجو الأزهرى ،  
وإصلاح سمعة الأزهر ، فقد تحقق لهم من ذلك بالشيخ الراجحي  
كثير مما يفتنون . وإن كان الإصلاح الذي يرجون إصلاحا علميا ،  
ونهضة وثابة لتحقيق رسالة الأزهر ، فقد ساروا في ذلك  
خطوات فسيحات ، ولكن . . إلى الورا ا

جاء الشيخ الراجحي وفي صدره حب طافع للأزهريين بامة ،  
وللطلاب بخاصة . وانتفرت الثفرة الأولى في طامه الأول ، فلم  
تم القرارات ، ليس في السكيات وحدها ، بل في الماهد كذلك ،  
ونادى منادون أن تربث المشيخة بالامتحان حتى يتم الطلاب  
دروسهم شرحا . وكان حل لهذا المشكل ، ولكن على حساب  
العلم ؟ فأرعى إلى وضاع الامتحان أن يكون في القروء لاقى المقرر ،  
فكان هذا بدء الانتلام

وبعد هذا بدأت إضرابات واضطرابات كان بمالها الشيخ  
بكثير من الرفق ، وفق هوى الطلاب . فاستشعر الطلاب أنهم

جانب ذو بال في تسيير دفة الأمور ، فمزلوا وولوا ، وكان ممن عزل بالهتاف والوقية ، وممالة الطلبة ، الشيخ الضرفاني شيخ معهد أسيوط ، والشيخ السمرق شيخ معهد طنطا ، وأمر أمر الطلاب إلى حد كبير حتى كانت الشيعة تتدور اتجاهاتهم ورغباتهم لتسير كما بطوع هرام .

وفي الحق أن الشيخ المراغي كسب قلوب الطلاب ، واستطاع أن يكيدهم لخصومه كيدا بليغا . ولقد تخلف الطلاب يوما في كلية الشريعة حول شيخ كبير وأهانوه إهانة مستفزة وكادوا يذوبون به لولا أن زادهم أخو الشيخ المراغي وابنه عنه . واقد كان هج الطلاب وسفلتهم درعا حصينة وقت الشيخ تلك الذقعات اللواذع التي وجهها إليه بعض كبار الشيوخ في إحدى السكيات ، حتى لقد تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، وانفتحت اللاءتذار آنذاك أبواب وأبواب . ولقد كتبت « الرسالة » عامئذ تصور هذه الحال تصويرا لا يزال - على بعد العهد - يشيع في النفس أبلغ معاني الحسرة والسخرية

ومهما يكن من أمر هذه الحركات والإضرابات ، فقد كان الطلاب فيما بينهم وبين أنفسهم يمدون ذلك شدوذا وخروجا من الحد . وكانوا يتلاومون فيما بينهم ، ويقسارون أن هذا أمر خطير غير مشروع ، ويرجون أن يشوبوا إلى النظام بعد حين

وقد كان حملهم على الطريق يسيرا ، لو أن أولى الأمر نكروهم ، وتجهموا لهم ، وتمهدوهم بالنصح وضبط الامتحانات وعدم الترخص في شيء من أمرها . . . . . ولكن الأحداث جرت بغير هذا ، بل مدت للطلاب مدا ، وساقهم إلى الاعتقاد بأن الإضراب والتبرج ، واختلاق أسباب الشغب ، كلها حقوق مشروعة تباركها الشيعة ، وتدفع إليها

ذلك بأن حكومة الوفد سقطت عام ١٩٣٨ ، فنفخ في الصور ، وأوذت الأزهريون أن يهبوا لمهاوية مرشحي الوفد ، وتأييد خصومه ، وباركت الشيعة هذه الحركة الدينية ، ونشلت فيها نشاطا غير كريم ، وأرسلت السامرة بوزعون المال لشراء القمم ، وأوقفت الدراسة أكثر من أربعين يوما حتى قامت الحكومة الجديدة ببرائتها الجديد

لقد استغل في الأزهريين جهم لأستاذهم الأكبر

الذي لا يناصر الوفد ، واستغل فيهم فقرهم وحاجتهم إلى المال ، ولكن نسبت الشيعة أن هذه حركات سياسية دنسة واشتراك الطلاب فيها على هذا النحو إزراء بالأزهر ، وإسقاط له كجامة تحمى الجميع ، ولها حق الاحترام على الجميع ، ولا ينبغي أن تتخذ لونا سياسيا مهما زها وخبل بريقه

نسبت الشيعة أن الطلاب لهم قلوب وآراء واتجاهات ، وأن شراء ذممهم بالمال تربية سائلة . وسنة قدرة يجب أن تتوقاها مشيخة كريمة جهد التوق

نسبت الشيعة أنها بذلك تعلم رجال الأحزاب احتقار الأزهر وآله القبين يسخرون بالدرام ، ويسكرون بالرشا . . . . . ولقد ذهب الطلاب إلى الدكتور ماهر ذات يوم يطلبون إليه أمرا من أمور الأزهر ، وبذكرونه فضلمهم في خدمة الحكومة القائمة . فأجابهم : أما ما نذكرون من الفضل . . . فلا . . . فقد قبضتم الثمن !

هذا العجل كان جديرا أن يصدر من شيخ غير المراغي العظيم ، ولكن الشيخ غفر الله له - باع الأزهر في سبيل الكيد والمناظرة ، ولم يمبا بانتقاء السلاح الذي ينبغي له استعماله

إن من الإجرام أن يسير الأزهر في ركاب حزب من الأحزاب . وإن من الإجرام أن يحاول حزب من الأحزاب أن يلون الأزهر بلونه . يجب أن تتوق الأحزاب جرجرة الأزهر واستغلاله في مهازتها ومناوراتها ومكابدها . وإذا كان لا بد للأزهر أن يتحزب ، فليتحزب تحزبا إسلاميا يتفق مع دراسته ورسالته

لقد كان من الآثار الباقية لهذه الحركة المشؤمة إن آمن الطلاب والأساتذة من يومئذ بأن الاضطراب أمر مشروع تسفه المشيخة وتباركه وتكافئه عليه وتدعوه له ، وأن الامتحان مأمون الخطر مادام في المقروه ، ومادام الأساتذة في أبدى التلاميذ ، يقرهون ما أراد الطلبة لهم أن يقرهوا ، وينتمون إلى حيثما يريد الطلبة بهم أن ينتموا . . . . . ونخرج على هذا الوضع متخرجون هم في الجهالة مأم !

وانتهى عهد الشيخ المراغي وقد خلف للأزهر فسادا شاملا وسفنا من أسوأ ما ضرب للمتعلمين في أي معهد من معاهد التعليم فلذا كان للشيخ صلاح محمود مشهودة من خلفه ووفاته ،

وزادوا عن حقهم ما أطلقوا ، وكانت حوادث ، وظهر من شيوخ الماهدين من بحمى النفس وبدافع عنه وبواطن الطلاب عليه ، وظهر من الأساندة المراقبين من يدير طهره ليراقب الشرفين حتى إذا بدا منهم أحد أتجه إلى الطلاب يزجهم إخفاء ما استملان . غير أن بعض الشرفين آثر الأمانة في معهدنا ، وصدق الشبيخة ما هنالك ، فأثرت الامتحان ، وكانت هذه خطوة جريئة مشكورة

ولكن الشيخ أدركه الهرم ، واضطربت أعصابه ، وبق مع ذلك يصرف شؤون الأزهر ، ويقوم عليها مصححا عميا ، فخرجت الأمور ممثلة بختلة ، ولم تجن المشيخة نمار الحزم ، وعاد الطلاب إلى الفوضى والاضطراب على أشنع وجه وأبشع صورة . وما زاد النعمة على الشيخ أنه شابع السياسة ، واضطهد الإخوان المسلمين حين كانت السياسة تضطهدهم ، وكان جديرا بمشيخة الأزهر أن ترفع يدها فلا تحارب قوما يؤدون رسالة هي لباب رسالة الأزهر ونحها . وأياها كان فقد أسف الشيخ ثم إسفاف يجربه في تيار السياسة التي يجب أن يباعد بين الأزهر وبين ذائلها جهد المباعدة

وما كاد الشيخ عبدالمجيد سليم يتولى المشيخة حتى أعلن أنزلها طاعا منهجية يريد الأخذ بها ، ولكنه فوحى بمطالب ، ونوهض بمصاعب ، رذته عما كان يولى وجهه شطره من إصلاح . ثم أدركه الضعف فدخل مجلس الأزهر عنصر سياسي يتكلم باسم الحكومة ، ويقدم طلبات المشايخين لها ، ويتعصب لهم ويحمل المجلس على احتضانهم ؛ لأن في رفض طلبه إهانة للحكومة واستخفافا بها ، والنار والسمار للمجلس وللأزهر كاه ، إذا لم تسمع كلمة الحكومة ، ولم يستجب لندائها وقرب على هذا الأساس ناس ، وبوعده ناس . وعاد شيخ الأزهر بعد مرضته لياق باليدين وبالجران لهؤلاء الذين يتكلمون باسم الحكومة ، بلا مخالفة ولا اعتراض ، لأن في المخالفة الشر كله

ولقد ضغم الوم من أمر المنصر الطارى ما ضخم حتى

ومن عزته وإباهته ، ومن علمه وجلالته ، ومن حفاظه وكرامته . فليس هذا عليه بمنكور ، ولكننا لنا بصدد التحدث عن ذلك ؛ وإنما نحن بصدد الحديث في أمر الفوضى والاستقرار ، فليطرد فيه الكلام حسب

o o o

من بعده تولى الشيخ مصطفي عبد الرازق ، وقد جاء وصدره تتراحم فيه الآمال . وأنهى إلى الأزهرين أنه راغب أن يقدمهم إلى الأمام بسكنا يديه . ولكن مثقلة من أحمال خلقى ، وتكفل إقليمى ، وتزوع للفوضى ، مما يحتاج في علاجه إلى صلابة وجه ، رشدة جسم . أمر بتكاد رجلا موفورا الحياء ، جم التواضع ، بالغ الرقة ، كالشيخ مصطفي أن ينجح في علاجه وتصفيته . إذن فقد مضت الأمور آخذة أخذها القديم ، ولم يتأذن الله للشيخ مصطفي أن يشير من أمر الأزهر شيئا ، ولم يكن الشيخ بعليته رجل هذا التغيير . . . لقد مات الشيخ مصطفي مفيدا حزينا متأثرا بندايات خشنة بجانب الذوق والأدب ، سكت اسمه في حرم الأزهر . . . لقد تولى الشيخ مصطفي مظلوما . . . ظلله الذقراشي باشا إذ ولأه - على رغمه - مشيخة الأزهر ا

o o o

وما كاد الشيخ مأمون بقتد كرمى المشيخة ، حتى قرب وباعد ، ومر وساء ، ولكن في مدى معقول غير متطرف ، وسار في الأزهر سيرة تمت مزيجا من (الدودشة) والدهاء . والحق أنه عزم ليردن الطلاب إلى الدرس والنظام وليقيمهم على الطريق ، وحاول ذلك جاهدا ، وأذن في المفتشين ليرابطن كل مفتش في معهد لا يربحه شهرا ، ثم ينتقل إلى آخر ويخافه مفتش آخر ، وكانت سيرة محمودة لو كتب لها النجاح . . . ولكن ثقل النظام على الطلاب ، ورم الأساندة بالدرس المستقر ، فتلصوا الفرس - وما أكرها - ورجموا لما اعتادوه من الفوضى والشغب . وحاول الشيخ أن يعالج هذا الاضطراب بضبط الامتحان ؛ ولكن الطلاب قد دخل في روعهم - من قبل - أن النجاح حق لهم ، وأن النفس حل ، بل يدانفون عنه بالمراوى والمدى والندارات . . . وفعلها الطلاب ، ودخلوا بالكتب ،

# الشر الطريف

للأستاذ ثروت أباظة

هي الصفة التي إن أخذت لم تذر، وإن حمت لم تدع لصاحب العقل عقلاً، أو لصاحب الفؤاد فؤاداً، وهي لا تدع لنسي الحياة حياة، تنحط أول ما تنحط في فقد الإنسان قوامه وتطير نفسه بدداً، حتى إذا تراجعت اليد التي أزلتها رجع الإنسان إلى بعض الرشد منه فيبين له أن الله قد أقام الرجل رجلاً حتى يملك زمام أموره، يسيرها فتسير، ويصرفها فتصرف، فإذا استقام هذا التفكير وجرى في سنة أصبح الرشد الآتيا أكبر من الرشد الهارب، وانسكاباً المصدوع على سنة الله في عباده فيرتب الصدع أو يسكاد، وتستقيم النفس بعد التواء. وبعد فقي كل شر خير، وخير معرفة المصاحب غمض الصحبة، من المدمر مضمير البفض، خير قديم يلزم كل شر ولا جديد فيه. وقديم كذلك أن أقرب الناس إليك قد يكون أشد م بفضاً لك. فهو يخفق بفضه حتى تصيب الصفة وينزل البلاء على صاحبه، فيزاحم بفضه هذا البلاء ويستبق إلى إزال الشر كأنه جزء منه، ينزله فلا يملك البتلى إلا أن يصرخ « حتى أنت؟ » فإذا الصرخة في نفس المدرفرحة؛ فهو موعغل في شره. حتى إذا تبين له أن كيده مردود، وأن الله قد أقام الرجل رجلاً حتى يملك زمام أموره، يسيرها فتسير، ويصرفها فتصرف. . . يبين ذلك فإذا صاحب الشر مسترجع شره، يفضه في نفسه ناراً تحترق ولا تحرق غيره! فياله من مسكين! هذا هو طريف الشر إذن . . آدمي ذو عقل وصاحب قلب يخترن في نفسه النار وتحرق قلبه وهو قلبه، ويملك عقله، ولا يملك عقله أن يهد عنه النار، ويحه فما يجديه! ترى أى سبيل يملك حين تنفجر الأزمة وتنفك العقدة، أهو راجع إلى ما كان يحاول إظهاره من ود؟ أم هو مستقيم مع الشر الذي زاحم فيه وبه؟ أما صاحب البلاء. . . أما هو فامصيره مع هذه الشرور التي كان يظنها خيراً؟ أهو مصدق نفاقهم الذي

صارت إشارته حكماً، والاستجابة له فنا، وحتى أصبح المجلس بوقاً ينفخ فيه واحد فتخرج منه أصوات كثيرة عدد أعضاء المجلس الموقر، كلها منسجمة مكثمة، لاشذوذ فيها - بحمد الله - ولا نشوز

وإذا كنا نستنكر من الشيخ المراعي أن يبش الأهر عام ١٩٣٨ لمحاربة الوفد، فإننا نستنكر على هذا المهد أن يطامن رأسه كذلك للارغبات الحزبية أيا كان مصدرها وإذا كنا نتم الأهر عن أن يسير في ركاب محمد محمود والنقراشي وعبد الهادي، فإننا نتم الأهر كذلك عن أن يسير في ركاب مصطفى النحاس

وإذا كان المتأفة في عهد السديين مساطين على رقاب الأهرين، وكان المتأفة في عهد الوفديين مساطين على رقاب الأهرين، فإن ذوى الكفومات جديرون أن ينفوا أنفسهم من الجهد والعمل والجد، وأن يربصوا بالزعما في دورهم وفي أفواه الطارق وأعراض السراقات هاتفين مصدقين، أولاً، فليتخذوا غير الأهر مكاناً محترم العلم، ولا بضمف أمام الحزبية كما فعل الدكتور محمد يوسف موسى

على أن الحكومة ما تفتأ تنادى بتلطيف حدة الحزبية، فيملن وزير فيها أنه وزير للعلم لا للسياسة، ويصرح آخر بأنه يربأ بنفسه أن يكون عضواً في حكومة لا تحترم الكفومات. . . فهل سمع الأهر. . . وهل وعى؟

يجب أن نمالج الأهر أولاً بالاستقرار، ودعم الاستقرار لا يكون إلا بالقضاء على الجرثومة الخبيثة، جرثومة الحزبية، ثم يطلب منه أن يؤدي رسالته. فأما وهو على هذا النحو، فأمر من يفتون منه الخير، أمر من يطلب من مريض المفاصل أن يسير وثباً، وهو في كل لحظة يكب لوجهه كبا

هذا ما رأينا من حال الأهر، صورناه كما علمناه غير متجنين على أحد، ولا محابين أحداً. ونحن نعلم أن ذلك سترم له أنوف، وتوغر منه صدور، ولكننا أترنا أن نضع الأمور في نصابها، ليعلم امرؤ أن التاريخ غير راحم، وليرى أين يضع نفسه

لأمل السير ساهين

المدرس بمهد القاهرة